

## مقام الفرد في المجتمع الانساني

الخطبة السنوية في المدرسة الكلية لحضرة الادب خليل اندي داود ثابت ب ع

(تابع ما قبله)

والتقليد من صفات الانسان الملازمة وهو واضح في كثير من الحيوان واشد ما هو عليه في الشربين المتوحشين منهم. وهو في الانسان عامل قوي في تقدمه وارتقائه وقد شبه احد الكتبة التقليد بالامواج تمتد من نقطة واحدة والامر كذلك في البشر فقد يخترع احدهم شيئاً ولا فرق في كون المخترع مذهباً او طريقة او آلة او زياً فينقله عنه غيره وينقل عن هذا آخر ويستمر التقليد جارياً هذا الجرى حتى يقف في سبيله تقليد آخر ويبقى البشر على التقليد اذا كان داعياً لسرورهم تجلبه لراحتهم وتقدمهم وينبذونه اذا لم يكن كذلك على نسب متباينة من الزمان. فتمدن مصر الحالي انما هو تمدن الرومان واليونان مقلداً وجارياً تجري التقدم والتحرر وكان الامواج التي مصدرها قوي تغلب على الامواج ذات المصدر الضعيف فالمقلدات القوية تغلب على المضعفة منها. خذوا لذلك مثلاً شيوع الاطعمة والمشروبات في الامم المختلفة فان بعض هذه قصير العمر وبعضها طويله فالاسكوتلانديون يشربون الهوسكي والالمان يتعاطون البيرا والصينيون الافيون، ثم ان الاسبان يفضلون السيكارات والالمان القضية والاميركان السيكار ويميل السوري الترابل من الاطعمة ويميل الاميركي والانكليزي الى القوم الملعونة والبطاطس وتشتاق نفس الايطالي للكرونة، والمتقدمون يفضلون ما دكن لونه من الثياب والمتوحشون يميلون للبرقش من الالوان وما زعم منها واعظم الامثلة التي حضرتني التي اولدودة وساذكر شيئاً عنها وقد شوهدت في كل امة وتبيلة نزوح الى حالة خاصة تمهد ما يورث من الاختلافات الجزيئية بين افراد الامة او القبيل فيحدث بينهم صلات تدفعهم الى المماثلة في النطق واللغة والاشارات والتزاوج واعظم شاهد على صحة ذلك الولايات المتحدة بما تضم كل عام اليها من المهاجرين ولا يفهم من هذا ان المقلدات كاملة وجوياً فهي ايضاً خاضعة لتأثيرات الارثاق وتنازع البقاء لما كان منها ايلاً لنفع البشر عاش طويلاً ولا يفضي عليه. وضم هذه المقلدات على نسط مخصوص هو سر الاختراع اذ ليس الاختراع سوى ايجاد فكر جديد وعمل جديد حادث يضم افكار قديمة وشبهها في العالم العنصري الجمع بين ذكر وانثى من نوع واحد من الحيوان وانتاج مولود يختلف عن الاثنين. فاصح مقام الفرد تجاه المجتمع كما يأتي: يجتهد الفرد بمختراته من آراء ومذاهب وآلات وصناعات وعلوم وازياء ومكتشفاته من الحقائق والنواميس ان يستولي

على آليات الجماعة فاذا تيسر له ذلك تاهوا وبنذوا ما اعتادوه قديماً من العوائد وما كان لهم من الازياء وما تلبسهم من الصنائع والآراء التي يتشكون بها تمكناً شديداً وتأثير الجماعة على الفرد عكس ذلك والفرد مقاوم لهم سيفه بايديه الامر حتى يتغلب عليه عامل كارتقائه بحيث يشعر بنفع التأثرين واسهل الوسائل لترقيته الى ذلك المقام انما هو التهديب الحقيقي بتقوية قواه العقلية والجسدية والادبية وتفتح مخادع فكره وغرس النوااميس والخفايق فيها غرساً يكفل بنورها هناك وهذا الذي يدعو الى تأسيس المدارس الوافية بحاجة العمران. اقول الوافية بحاجة العمران لاني اسف ان اراى انكثير من مدارسنا لا يفعل ذلك بل يني بمطلب مديرها واصحابها او قد لا يني بمطلب احد بل يأتيه ابن المرض ونتيجة الاتفاق . او قد يكون هذا العامل اهتمام الفرد بارتضاء الجماعة كما وقع للولايات المتحدة واسبانيا في الحرب الاخيرة فان الدولتين ليشا من مرفقات عهدة باريس ستة وست وخمسين وهي تقضي على الدول بعدم وضع يد احد التحاربين على ما لزعية الاخر اذا كانت في مركب اجنبي او خاص باحدى الدولتين ما لم يكن من المنبوعات المعروفة " بل كرترايندا " وقد كلن يحق لاسبانيا والولايات المتحدة ان تتخالفا تلك العهدة وكان الناس يتوقعون منهما المخالفة لكنهما لم تفعلوا حرصاً على رأي الجمهور من الدول والعالم بأسره. وهذا اي الرأي العام عامل قوي في الفرد يمنع عن اتيان امور وبدفعة الى فعل اخرى . او قد يكون الدافع تسليم الفرد الاصحى الناتج عن ضعف في قواه او عن احترام عظيم يحدوه الى التسليم دون بحث او تبصر في الامور

على ان الجماعة لا تقبل تأثير الفرد ما لم تكن مستعدة لذلك فالطب من اعظم بركات التقدم الخليلي ولكن ليذهب اللورد لستر زعيم اطباء انكلترا وجراحها الى التوحشين يمارس صناعته بينهم فانهم يرفضون قوله ولعلمهم يقتلونه لكنهم من انما سته متدرة على شفاء الامراض التي هي باعبارهم عياء اقبلوا عليه معتززين لكنهم ينتفضون عليه اذا اخفق مساه في حادثة واحدة وهكذا القول في المصلحين والشارعين والحكام والفلاسفة والمعلمين فتاريخ العمران مملوء باسماء الذين ذهبوا شهداء تعاليمهم لا لعدم صوابتها بل لان القوم الذين شعروا لم يكونوا قد بلغوا من الحضارة بلوغاً يؤهلهم لاقبال تلك التعاليم والعمل بموجبها

وما كان اعظم واجبات الانسان الوقوف على اسرار الطبيعة وتوااميسها حتى تطول حياته وتزيد راحته كان اعظم الناس فضلاً من يفتح عيون الجماعة والعالم اجمع الى نوااميس الطبيعة التي تحيط بهم ويدبرهم الى كيفية الجري بموجبها بحيث لا يتوسسون بها على غير هدى فينظم اذى يحرم التخلص منه وبين هؤلاء الاطباء والفلاسفة على اختلاف انواعهم والمخترعون

ومعلوم الاديان والعتبات والعلوم والمؤلفون واصحاب الطرائد وغورم  
ولا يخفى ما للوراثة من التأثير في الفرد لاسيما التأثير في الانتخاب الجنسي وقد نرحب  
ان التذكير يوثق من والده كما ان الاتى ترث من والدتها صفات ينزدها المولود دون  
الآخر وذلك واضح في كثير من الحيوان وليس هو اقل وضوحاً منه في الانسان وعليه مثل  
القوم ان هذا الشبل من ذلك الاسد ولا يراد بهذا القول ان الذكر من الولد لا يتأثر شيئاً  
من صفات والدته وان الاتى منه لا تلم بشيء من صفات ابيه لكن الأكثر ما تقدم من  
الانفراد اذ ان التنوع اكثره في الذكور من الحيوان لما يحتاجون اليه من التخلق بما يقربهم  
من الاتى ويصلهم رضاها عنهم وميلها اليهم وما يحدث بينهم من النزاع توتراً اليها وتعاطفة  
عليها من ان يسلمهم اليها آخر

ومن اعظم التوائد في تأثير الفرد في الجماعة الذي مرجع هذه التقليد ويدخل عليه من  
العوارض ما يحوله الى وجهة دون اخرى

خذوا مثلاً برابط النساء وكرا فالت الرجال فانها تكون عند غايي الذي على غط واحد  
وزي واحد في فصل واحد من السنة الواحدة في الذي يدفع الفريقين الى هذا الانتقاء وهل  
لافرادها بدنيو. ولو كانت الشائع استعمال آلة من آلات الجزار في سائل حلكة لانيها  
هناك من الاسباب ما فيه اتعانا من افضلية تلك الآلة وما لها من الميزة على غيرها بما  
يقتصد بها من القوة والهم المشعل ولكن الامر ليس كذلك في البرابط او ربطات الزناب  
اذ ليس في شيوخ زي بعد آخر اقتصاد من وجه ما ولا نستطيع رد شيوخ زي معلوم الى  
الاحوال التي تحيط بالمرء فتكون كالمواد البازيحية بمجموع اسباب يتبع عنها نتائج لا بد من  
وقوعها رضي الانسان لم يرض كالثورة الفرنسية الشهيرة

بقي اذ ان السبب هو الاحترام الذي يشعر به الرضيع نحو الرضيع اذا قبله هذا في الجاه  
او المال او القوة او المعرفة او في كل هذه او كان التفاضل موعوماً لا حقيقياً

تذكرون شيوخ هذا النوع من التحية في بيروت وهو رفع الدراع والقبض على اليد على ارتفاع  
العنق وهزما وانظروا في سبها. ان اميرة ولس الخالية اصيبت منذ بضع سنوت بدمل  
في ابطها الايمن فلم تستطع حتم ذراعها الى جنبها ولهذا التزم ان ترفع يدها في السلام كي  
لا تحثك الدراع بالابط فلما راعها سيدات انكثرتا فمن ذلك تاعبها وشايعتها لما ربح في اللوس  
الانكثير من احترام ملوكهم وفراد الاسرة المانكة فيهم ثم نقل اليها فلقبها بالترحاب الذي  
يعتدناه من احترام الاجانب والانوار فم بالانضلية ألا ترى ان ذلك جعلنا تعقد الفريقين

في اعمالنا ومعاشرتنا ومخالفتنا وفي رياش يورتنا وزينتنا . وللاختلاف الجنسي في الذي يد الّا ترى الفرق بين المرأة والرجل في الزينة والذبحج والبرفشة فهي تجذبهه بجبالها وزينتها وهو لا يفعل ذلك بل يتسلط عليها بقوة ذراعها وسمو مداركها . وعندني انه معها ارتفعت اصوات الخطباء على الثاير وكسب ككتاب الجرائد فلن يشير ذلك من عزم النساء في اتباع الذي شيئاً الا ان يكون رفع ضرر فهذا قد يتكفون من بلوغه مع انه متمسك كما في مسألة المشد . وعدم نجاحهم عائد الى عدم اهتمام المرأة برأي صاحباتها وجاراتها وكل من وقع نظره عليها سواء عرفته او لم تعرفه وقد غلب عليها هذا حتى صار في حكم الطبيعة . واني اطلب الى النساء ان لا يصغين الى نصيحة الرجال في ابطال المودة بل يتبعنها فانها تزيد في جمالهن واكن ليعتقن الله في كل ما يعود بالضرر عليهن لان المحافظة على الحياة والسرل أهم من المحافظة على الجمال بمقدار ما تفضل الحياة الجمال

وقد كان البشر قديماً يظنون الانسان موضوع عناية الالهة ورأس الخليفة وقطب الكون او نحوها فكانت الشمس بحسب زعمهم تشرق لتسير عليه ولاجله كانت الندى يقع وكانت كواكب السماء تخدمه حتى وضعه بعض الامم القديمة في مصاف ابناء الالهة اما العالم فيدنا على ان الانسان ليس غاية وجود الكون ومركز حركته ولكنه حيوان على سطح سيار صغير هو لا شيء بالنسبة الى سائر الكواكب والشموس وقد كانت للمجاعات والامراض والحروب اليد الطولى في ترقية النوع البشري

وقد يخطئه البعض الغرض المقصود من هذه الاقوال فيظنونها تحاملاً على الدين وما هي من التحامل في شيء اذ ليس من غايته التطبيق بين العلم والدين ولا اخال ذا فكر سليم يحاول ذلك فالآداب التي هي من تعاليم الاديان موضع نظر العلم والفلسفة وعند البعض ان التعاليم الاديانية لا يحض لها البشر ما لم تحدث فيهم هيبة واحتراماً للمصدر الذي صدرت عنه والعواطف التي تهيجها اواخر الدين من التقوى التي ارتقت جداً في الانسان وهي ضعيفة في اكثر الحيوان فان جميع الناس يرتاحون للتلاوة اعمال شبيه خاطر بجماله او بباله دفاعاً عن مبدأ شريف او غاية سامية او مات فداء عن بني نوعه

والعواطف العاملة الآن في العمران والفرد سيدوم عملها بزيادة في قوتها وتأثيرها حتى يبلغ العالم درجة يتضارع فيها وأجب المرء ونعمه ومنفعة العمران وتنطبق اشغال الفرد على ترويض الضيعة والعمران فتتلاشى المسالك وتفنن الاحزان وتعلم الجرائم ويسعى الانسان خير السعي لترقية قواه حتى يبلغ بها العسى ما يستطيع وذلك غاية التقدم ومصير العمران